

البداية والنهاية

أبو عبداﷻ الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال هذه الثلاثة التي أوردتها الماوردي ورابعها الوقف وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب فقالوا لا شك أن اﷻ سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الالهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته وإنما هو أمر قدرى لا يخالف ولا يمانع ولهذا قال اخرج منها مذهباً مدحوراً وقال اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها وقال اخرج منها فإنك رجيم والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزل وأياماً كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدراً في المكان الذي طرد عنه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز قالوا ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له هل أدلك على شجرة الخلد ومملك لا يبلى وبقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور الآية وهذا ظاهر في اجتماعه معهما في جنتهما وقد أجبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء وفي الثلاثة نظراً واﷻ أعلم .

ومما احتج به أصحاب هذه المقالة ما رواه عبداﷻ بن الإمام أحمد في الزيادات عن هدية بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن يحيى بن ضمرة السعدي عن أبي بن كعب قال إن آدم لما احتضر انتهى قطفاً من عنب الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد كفيتموه فانتهاوا إليه فقبضوا روحه وغسله وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم في موتاكم وسيأتي الحديث بسنده وتمام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام قالوا فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التي كان فيها آدم التي انتهى منها القطف ممكناً لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها في الأرض لا في السماء واﷻ تعالى أعلم .

قالوا والاحتجاج بان الألف واللام في قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام فإن آدم خلق من الأرض ولم ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون في الأرض وبهذا أعلم الرب الملائكة حيث قال إني جاعل في الأرض خليفة .

قالوا وهذا كقوله تعالى إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة فالألف واللام ليس للعموم ولم يتقدم معهود لفظي وإنما هي للمعهود الذهني الذي دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال اﷻ تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام
منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية وإنما كان في السفينة حين استقر على الجودي
ونضب الماء